# البابا لاون الثالث عشر

## ﴿ البابا لاون الثالث عشر ـ ترجمته ﴾

في يوم الاثنين الماضي ( ٢٠ يوليو ) توفي عظيم النصرانية ورئيس الطائفة الكبرى فيها بابا رومية عن ثلاث وتسعين سنة قضى جلها في خدمة مذهبه الكاثوليكي منها خمس وعشرون سنة أو ربع قرن في منصب البابوية وقد كان لسياسته من التأثير في عالم النصرانية والمدنية مالم يكن في حسبان أحد من العالمين وكاتب هذه السطور يعتقد أنه كان أعقل رجال أوربا وأعلاهم كعبا في السياسة. وانا نذكر من ترجمته مافيه العبرة للمسلمين كما يليق بمجلة إسلامية مثل المنار فلا تقل أيها المسلم ماهذه المجلة الاسلامية ، ولزعماء النصرانية .

الكاثوليك أكثر فرق النصارى عددا واعتقادهم في البابا كاعتقاد أكثر المسلمين في الخليفة أو أمير المؤمنين من حيث الرياسة الدينية والدنيوية في الجملة وكاعتقاد بعض الفرق الاسلامية في وجوب عصمة الامام الحق ثم انه ينتخب من طائفة مخصوصة ولا يأخذ هذا المنصب بالوراثة وتلك سنة الاسلام في انتخاب الامام من طائفة مخصوصة. قال ياقوت في معجمه « والبابا رئيس الفرنج هو عندهم نائب المسيح كما هو أمير المؤمنين عند المسلمين ينفذ أمره في جميع مايتعلق بالدين في جميعهم » وقال الشريف الادريسي في كتابه نزهة المشتاق : «وفي مدينة رومة قصر الملك المسمى البابة وليس فوق البابة فوق في القدر والملوك دونه ويقيمونه مقام الباري جل وعز — الى ان قال — وحكمه نافذ ماض على جميع ملوك الروم ولا يقدر أحد منهم يرد عليه » وقال أبو الفداء في كتاب تقويم البلدان عن أهل بيزة « وليس لهم ملك وانما مرجعهم الى الباب خليفة النصارى » وقال عن رومية : «وهي مدينة مشهورة ومقر خليفة النصارى المسمى بالباب» وقد تكلم ابن خلدون عن هذه الرياسة وصاحبها بايضاح تام ولهذا كله قال بعض علماء أوربا ان البابوية أو النصرانية مقتبسة من الاسلام

جلس لاون الثالث عشر على كرسي هذه الخلافة (سنة ١٨٧٨م) وأوربا بقضها وقضيضها

وعلومها وصناعتها ومدنيتها معادية للكاثوليك أشد من معاداتها للاسلام لأنها تعتقد ان الكاثوليك والبابوية من الامراض الباطنية التي أصابت الوطن في القلب والكبد والرئتين فهي تفتأ تفتك به حتى تبيده فالكثلكة خطر في الباطن تحارب خوفا وحذراً من شرها وأما الاسلام فهو عدو على البعد يحارب طعما في أرضه ودياره . ولكن البابا لاون الثالث عشر حوّل بسياسته ودهائه ذلك العداء الى ولاء ، وذلك الاستخفاف والاحتقار الى اجلال واعتبار ، والفضل في ذلك لحسن الانتخاب والاختيار ، اذ لو كان هذا المنصب وراثيا لما ارتقى اليه مثل هذا الرجل

ولد ليون الثالث عشر (وكان اسمه قبل البابوية بتشي) في ٢ مارث سنة ١٨١٠م في بلدة كاربنتو من ايطاليا وتعلم التعليم الابتدائي في مدرسة الجزويت ببلدة فيتربو وجاء رومية سنة ١٨٢٤ وأتم دروسه بمدرسة الجزويت فيها ثم بمدرسة رومية الجامعة وعني أولا بالعلوم الطبيعية والكيمياء حتى نبغ فيها ثم اشتغل بآداب اللغة اللاتينية حتى عدّ من الكتاب البلغاء والشعراء المجيدين ثم درس علوم الفلسفة واللاهوت فأتقنهما ومنح لقب «دكتور» في الفلسفة . ثم وجه عنايته الى علم الحقوق فبرع حتى أخذ الشهادة العالية فيه من مدرسة رومية الجامعة

وفي سنة ١٨٣٧ عين قسّاً ونائبا عن البابا في بعض البلاد وفي سنة ١٨٤٣ عين رئيسا لاساقفة دمياط ثم وكيلا للبابا في بروكسل عاصمة بلجيكا فاقام في تلك البلاد ثلاث سنين منحه ملكها في آخرها وسام (ليوبولد) من الدرجة الأولى وهو من أعلى الوسامات عنده . وفي سنة ١٨٤٦ عين رئيسا لاساقفة بيروز . وقد لبث في منصب الاسقفية ٣٢ سنة كان فيها حسن السلوك يستتيب اللصوص والبغاة المعتدين حتى خلت منهم السجون التي كانت عامرة بهم قبل عهده . وفي سنة ١٨٧٧ صار كردينالا ومديرا في الفاتيكان والكنيسة الرومانية . وفي سنة ١٨٧٨ توفي البابا بيوس التاسع فانتخب خلفا له . وقد ذكرنا هذه النبذة الوجيزة في تعليمه وتقلبه في الاعمال الدينية لأجل المقابلة بين تربية رؤسائهم ورؤسائنا حتى لا يعجب أحد من تقدمهم وتأخرنا

اذا سأل المسلم عن كيفية تربية رئيس أمته العام من أمير وسلطان أو ولي عهدهما أو الرئيس الخاص كشيخ الاسلام في الآستانة وشيخ الازهر في مصر وسأل ماذا

تعلم هؤلاء من العلوم التي لابد منها للأمة التي يرأسونها وماهي الاعمال والمناصب التي تقلبوا فيها فتظهر استعدادهم لخدمة الامة فرشحوا لها بسببها؟ فماذا يكون جواب هذا السائل ؟ لعل الاكثرين يجيبونه بأن الواجب علينا ان نقبل رياستهم من غير سؤال عن استعدادهم وعن علومهم وأعمالهم ومن تحدث بشيء من ذلك فهو عدو للملة والدين، وفتنة لجميع المسلمين ، وذلك أن الامة في طور الضعف لايرضيها الا ان يمدح منها كل شيء وذلك أنها تشعر بفقد مقومات السعادة بالفعل فتحب أن تخادع نفسها بالمدح كما يتكبر الوضيع ويتنفج ليظهر في مظهر الكبراء

فقد الكاثوليك السلطة الدنيوية سلبها الملوك من البابا الذي كان يفيضها عليهم ولو تسنى لهم في أي يوم من الايام إرجاعها لوجدوا في الفاتيكان رجالا يديرونها أحسن مما يديرها ملك إيطاليا وحكومته في جميع أصولها الادارية والمالية والقضائية والعسكرية لأن رجال الدين عندهم يتعلمون كل شيء . أرأيتك هؤلاء الذين يسمون رجال الدين في الاسلام اذا قيل لهم — وهم يشكون من خروج الاحكام عن الشرع الا مايسمونه الامور الشخصية ومحاكمها على خطر — : تعالوا فأديروا أعمال الحكومة الكلية من إدارية ومالية وحربية وقضائية وسياسية ( خارجية ) وغير ذلك أيجدون في الأزهر من يحسن عملا من هذه الاعمال كما يجد الكاثوليك في الفاتيكان ؟ أنى وهم الى اليوم يتنازعون بينهم : هل علم تقويم البلدان يقطع على الطالب طريق الدين أم لا ؟ الجمهور على انه يقطع وأنه ينبغي ان لايقرأ في الازهر . وهل الحساب العملي والهندسة العملية يفسدان العقل حتى يضعف استعداد لفهم العلوم الدينية أم لا ؟ الجمهور على أنه يفسد العقل وينبغي أن لايدرس في الازهر كما صرح بذلك الشيخ ( ثابت بن منصور ) والشيخ محمد راضي البحراوي من كبار المدرسين هناك في مقالاتهما المنشورة في المؤيد ثم أنى يجدون في الازهر من يحسن عملا ما وليس فيه من يعدّ لعمل ما الا القضاء الشرعي وهؤلاء القضاة المتخرجون منه تبكي من سيرة أكثرهم السماء والارض وتستغيث العدالة بلسان المظلومين المهضومين بأن ينتدبها الله منهم ويرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولاهم يذكرون .

ولقد كان رجال الكاثوليك في يوم مضى مثل رجال الازهر يعدون كل علوم

العمران حجابا دون الدين حتى كان الدين آلة الخراب والدمار وكان أكثر علمهم على رأي رجال الدين كما هو الشأن عندنا حتى اليوم . ولكنهم لم يلبثوا ان علموا على ان بقاء الدين محال مالم تجعل علوم العمران نصيرة له فعكفوا على العلوم حتى برعوا في جميع فنونها فمدارسهم جامعة تفوق غيرها انظاما وإحكاما وعلماؤهم من القسيسين وغير القسيسين مستعدون لكل عمل يرتقي فيه العمران . فمتى يعود قومنا الى هذا وهم أحق به من كل أحد؟ أنت يارب المسئول بتوفيق العقلاء المسعى واليك وحدك المشتكى

قلنا ان لاون الثالث عشر قد ولي البابوية والاخطار محدقة بها من كل جانب فقد كان في عهد سلفه بيوس التاسع ما كان من الثورات والانقلاب حتى نشر على عهده في باريس (إعلان) في تحريض بلاد ايطاليا على انشاء جمهورية إيطالية لايكون فيها بابا ولا دين بالمرة. وأصابت البلاد سنة فذهب الجماهير الى ان المحل والقحط من شؤم السلطة البابوية. وقد أشاع المرجفون على عهده بأن النمسا تضد مؤامرة سرية على خلع البابا واقامة حكومة عسكرية في البلاد البابوية كلها فاضطربت رومية وكثر فيها الهرج وعجزت الحكومة عن ضبط النظام اذا كانت المدينة غاصة بجماهير المسلحين من الاهلين ثم فتح مجلس الشوري فطلب إناطة الاعمال الادارية بالعوام (يطلق لفظ العوام في مقابل لفظ الاكليروس في اصطلاحهم) وحرية المطابع وطرد اليسوعيين ( الجزويت) وإعتاق اليهود وكان الشعب الثائر يؤيد طلب المجلس ثم عم الهياج بلاد ايطاليا من شمالها الى جنوبها وكان على أشده في رومية وتوقع الناس سقوط الدولة البابوية من الارض وقل احترام البابا في البلاد الاجنبية حتى ما كان يجد نصيرا

ونقول بالاختصار انه لم يستقر للسلطة البابوية قرار من بعد ثورة فرنسا سنة ١٨٤٨ بل كانت الفتن تتفاقم يوما بعد يوم وقد أظهر البابا بيوس التاسع من حبه الاصلاح وارادة الخير للشعب مالا مزيد عليه ولم ينقص ذلك من قوة الحزب الجمهوري شيئاً. ولقد بلغ من الاستهانة بالبابا ان كتب الى امبراطور النمسا يلتمس اخراج عساكره من ايطاليا فكان كتابه سخرية في فينا بعد أن كان لامرد لامره ولا معقب لحكمه. وحدث في هذه السنة من الاحداث مازعزع الكرسي البابوي من الشعب الذي كان يقول ان هذا الكرسي هو كرسي بطرس الرسول نائب المسيح. ومن ذلك اتفاق

الشعب والحرس المدني والعساكر المنظمة والجيش الروماني على محاصرة الكويرنال وقتل أمين أسرار البابا وإكراهه بعد ذلك على قبول وزارة إصلاحية وجعله كالاسير في قصره تاركا الاحكام الدينية والمدنية جميعا حتى اضطر الى الفرار متنكراً بهيئة قسيس الى غايتا. ثم اشتعلت نيران الفتن والثورات في جميع البلاد اتابعة له كما أشرنا اليه آنفاً حتى خسر سلطته في تلك البلاد . وسنذكر نبذة من سلوك لاوزا الثالث عشر في مقاومة الاخطار ، وصرف التيار ، وما في ذلك من العظة والاعتبار .

## ﴿ الخديو وجمعية المسلمين في لوندره ﴾

زار عزيز مصر في هذا الصيف عاصمة الانكليز بصفة غير رسمية فلقي من حفاوة ملك الانكليز وكبار أسرته ورجال حكومته ما كان فوق الحسبان . وقد زار سموه في تلك العاصمة وفد من جمعية الاتحاد الاسلامي ترأسه السيد علي البلجرامي الهندي الشهير فخطب خطبة بلسان الوفد رحب فيها بالعزيز وذكر مقصد الجمعية وسعيها في ترقية المسلمين والتأليف بين شعوبهم ووصف الامير بتأييد العلم واقتخر بالازهر وذكر ما سمع من عود الحركة العلمية اليه بعد سكونها. فأجابه الامير بأنه قد سره ان تكون هذه الجمعية جامعة لافراد من طوائف المسلمين المتفرقة على الاتحاد وقال كلمة كبيرة وهي « ان الاسلام دين اشتراكي يأمر بالمساواة بين الغني والفقير ، والكبير والصغير » ثم ذكر اشياء من قلة عدد المجاورين الهنديين في الازهر وانه يرجو ان يزيدوا في مستقبل الايام. ثم ذكر الحج والحجاج وقال انه يجب ان يسهل الحج على مسلمي كل الاقطار لانه من أركان الدين . فاذا أهمل المسلمون فريضته حلت بهم الارزاء لاهمال دين قويم يعتقده ٣٠٠ مليون من الناس »

وعندنا ان اجتماع أمراء ابن رجال هذه الجمعيات مفيد جداً للمسلمين . وعسى ان يعتبر بكلمة الامير بعض الاحداث من رعيته الذين يكتبون ويخطبون للتفريق بين المسلمين باسم الوطنية ويسمون المسلم السوري في مصر دخيلا . واما اقبال الهنود وغيرهم على الازهر فهو موقوف على ترقية التعليم فيه وذلك بيد الامير وفقه الله تعالى . والا فاننا لا نأمن ان ينفر المصريون منه بعد حين الافارا من العسكرية أو عاجزاً عن الكسب فيتخذه له تكية .

## ﴿ لاشم مليم ﴾

تألم مما كتبناه عن قراء الصحف رجل هضم حقوق المنار سنتين أو ثلاثا كان يعد ويعطل ثم صرح بأنه لا يجوز أخذ قيمة الاشتراك منه لانه كاتب وأديب ولم نعرف عن غيره ان تعريف الأديب او خاصته هضم حقوق خدمة العلم والدين والآداب. تألم فكان طول ليله يحسو كؤوس المدام ، ويسدد الينا سهام الملام ، ويحرض سماره والأدباء على اتباع سنة صاحب اللواء ، في معاداة الذين يسميهم السخلاء ، بأن يقفروا عن المنار وصاحبه لانه ذكر المصريين في مقال يذكر فيه معاملة الأمم وأصناف الناس لقراء الصحف نفضل فيه بعض البلاد على بعض وبعض الاصناف على بعض . وقال ان هذا يعد شتما للمصريين .

ونعيد بهذه المناسبة ما كنا كتبناه من قبل وهو أن أكثر المشتركين في المنار من أهل الفضل والدين والكثيرون منهم يدفعون قيمة الاشتراك من غير مطالبة حتى انه لا يكاد توجد جريدة أو مجلة منتشرة مثل المنار ليس لها وكلاء الا في بلدين أو ثلاثة بلاد . ولم نكتب ما كتبناه تألما منهم ولكن عظة وذكرى وإنا نحن المقصرون اذ تمر السنة بعد السنة ولا نطالب الواحد منهم بشيء . نعم ان فيهم من يمطل ولكن لا يكاد يوجد فيهم من يهضم الا تسعة رهط نحن منهم في شك وعسى ان يصلح الله حالهم

## ﴿ جريدة المناظر — ابطالها ﴾

سبق ان نوهنا بهذه الجريدة التي يصدرها في سان باولو (البرازيل) نعوم أفندي لبكي السوري وسبق ان افتخرنا بهضة السوريين المهاجرين الى أمريكا في الآداب لأجلها فانا كنا معجبين بحرية هذه الجريدة وإنصافها وشدة غيرة منشئها على قومه وحبه لجنسه ولوطنه وحسن اختياره فيما يكتب وتوخيه النفع فيه . ومن دلائل طفولية الشعوب الشرقية — حاشا اليابان — ان يضطر صاحب هذه الجريدة الناهضة الى ابطالها بعد جهاد بضع سنين . أقول الحق ولا أستحي من رصفائي الفضلاء : انه اذا صح الاستدلال بفحوى الكلام ولحنه على قصد المتكلم وغرضه فان صاحب المناظر في مقدمة المخلصين في قصدهم الذين يقدمون نفع قومهم حتى على مصلحة أنفسهم . ويظهر ان أكثر قراء العربية هناك يجهلون أقدار أهل الاخلاص وأصحاب الوجدان

الشريف ولاهم لهم من الجرائد الا ان يتلذذوا بمدح أنفسهم أو ذم أعدائهم

كتب « حب المناظر نشرة يودع بها الصحافة ووزعها على قراء جريدته . قال في أولها « غدا تنضب دمعة وتذرف دمعة — تنضب دمعة هذا القلم ، وتذرف دمعة هذا الكاتب ، غدا يودع الصاحبان بعضهما بعضا لا يرجوان التقاء حيث اجتمعا على مكتب الصحافة » وأقول ان كل ذي شعور بقيمة أهل الوجدان الشريف يشارك هذا الكاتب في ذرف الدموع ولكن ما أقل الذين يشعرون

وقال انه دخل باب الصحافة لثلاثة أغراض — مقاومة فساد الأمة حيث الكلمة حرة ، وترقية المهاجرين السوريين ، وتمكين علاقتهم بوطنهم لئلا تبتلعهم الأمة التي هاجروا اليها . وأنا أعتقد أنه صادق في دعواه وأحترم أغراضه وأحترمه على البعد لأني أعتقد أنه يريد نفع الناس ولكن أكثر رجالنا كالاطفال يجبون من يسعى في لذتهم ، لا من يسعى في منفعتهم . ولقد كان يجل كل كلام جليل نافع للناس وان لم يكونوا ممن أنشأ لهم جريدته . ومن آية هذا أنه كان ينقل عن المنار مثل مباحث جمعية أم القرى ومقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) ثم انه نشر ردا لبعض الكتاب على الثانية فيه شيء من التحامل ولكن لا أقول انه هو كان متحاملا

وقال في سبب إبطال الصحيفة انه كان يعلم ان من يكتب لتلك الاغراض لا يكون موضوعا للاقبال ولكنه لم يكن يحسب أنه يهمل ويقاوم حتى يعجز عن النفقة عليها لانه يقصر في مدح الذين يتجندون بغير جنسيتهم ( السورية ) وفي ذكر حركات المشتركين وتقلبهم في البلاد . وقد اتى ما لم يكن في الحسبان

وبالجملة ان إبطال هذه الجريدة خسارة على السوريين لا عوض عنها فعسى ان يوجد من أهل الغيرة والنجدة من يسعى في إعادتها ، من حيث يجدون في مساعدتها .

## ( كتاب دلائل الاعجاز )

نشر ناغوذجا من هذا الكتاب الجليل في البلاغة بالحروف والهوامش التي نطبعه فيها ومنه يرى القراء أن المطبعة قد استكملت أنواع الحروف حتى الشكل وصارت مستعدة لطبع الكتب وغيرها . اما الاشتراك في الكتاب فهو ١٥ على كبر وحسن ورقه وطبعه وسيكون ثمنه بعد تمام الطبع عشرين قرشا

## ﴿كيفية جمع إعانة سكة حديد الحجاز﴾

أخبرنا شاهد عدل ان أحد مختاري القرى في سوريا جمع من كل رجل من قريته ريالا للاعانة ولكنه لم يدفع مما جمعه الا نحو ثلثيه فاذا كان المتصرف يأخذ ثلث الباقي أيضا ويرسل الى الولاية ثلثيه وكان الوالي يفعل هكذا فيما يرسله الى الاستانة فان الذي يبقى للاعانة نحو الخمس حتى كأن المال غنيمة لا يصل الى بيت المال منه الا خمسه . والسبب في وقوع هذه الخيانة من مثل ذلك المختار الذي لا ذمة له ولا أمانة هو عدم نشر كل ما يدفعه الناس هناك في الجرائد وعدم طبع وصولات مسلسلة الاعداد يحاسب بها الجامعون للاعانة . فعسى أن تتنبه الحكومة العثمانية في جميع الولايات لتلافي ذلك وأن تأمر باصدار صحف تابعة للجرائد الرسمية في كل ولاية يبين فيها كل ما يدفعه الناس وترسل كل صحيفة الى الجهة التي ذكر أسماء أهلها فيها . وأن لا يجمع شيء من الأعانة التي يأمر بها السلطان أخيراً الا بوصولات مختومة مسلسلة الاعداد

هذا وقد كثر الذين يجمعون الاعانة في هذه البلاد ومنهم من لا يوثق بأمانته فيجب على كل أحد ان يحتاط فيما يتبرع به فلا يضعه الا في يد أمين كادارة المؤيد في مصر واللجنة الكبرى التي يرأسها أحمد باشا المنشاوي في الغربية

# البدع والخرافات

## والتقاليد والعادات

### ﴿عود الى سرد الاحاديث الموضوعة﴾

مناقب الصديق : — (١) حديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم «قال يا أبا بكر ألا أبشرك» قال: بلى فداك أبي وأمي: قال «ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة ويتجلى لك خاصة» رواه الخطيب عن انس مرفوعا وقال لا أصل له وضعه محمد بن عبد بن عامر وله طرق منها أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر « أعطاك الله الرضوان الاكبر» فقال بعض القوم يا رسول الله وما الرضوان الاكبر ؟ قال «يتجلى الله في الآخرة لعباده المؤمنين عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة » رواه أبو نعيم عن جابر مرفوعا وفي إسناده محمد بن خالد